جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

التاريخ: 02 ذو القعدة 1429هجري إعداد:خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

وفق 2008/10/31م www.al-msjd-alaqsa.com

نبضات من التفسير – في سورة الفاتحة – الحلقة الرابعة

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ – 2

لماذا خَلَقَنا اللهُ؟

لنبدء بالقاعدة الأهم، ألا وهي أن الله (غنّي) وأن كل مخلوقاته (فقراء) له عز وجل، يقول سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (فـاطر:15)، ويقول (وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ) (محمد:38)، فأي سبب نطرحه ليكون سبب الخلق ونجد فيه حاجة لله سيكون خطأ، علينا أن نبحث عن سبب صحيح لا يجعل الله محتاجاً لا من قريب ولا من بعيد، قد يقول قائل (أن الله خلقنا لنستدل على وحدانيته)، وهذا ليس بصحيح، ذلك أن الله ليس بحاجة لأن نستدل على وحدانيته فهو عز وجل لا ينفعه شيء ولا يضره شيء، فلن ينفعه إن عرفنا أنه عز وجل واحد أحد، ولن يضره جهلنا بهذه الحقيقة، حتى معرفتنا بوحدانيته، إنما جاءت منه سبحانه وتعالى، فهو صاحب العلم يؤتي علمه من يشاء (وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) (البقـرة:31)، وقالت الملائكة (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَـا) (البقرة:32)، وفي الحديث القدسي (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهـدكم) (صحيح مسـلم) وقد يقول قائل أنَ الله خلقنا لعبادته حيث يقول عز وجل (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:56)، أما قول الله فهو حق، وأما فهمنا له هنا فهو الخطأ، فليس سبب الخلق هو العبادة، ذلك أن الله لا يحتاج لعبادتنا، كما أنه لا يحتاج طعامنا ولا شرابنا

ولا قيامنا ولا قعودنا ولا عملنا ولا قوتنا ولا حولنا ولا جاهنا ولا سلطاننا ولا عِلمنا، فهو عز وجل غنيٌ عن كل ما لدينا، بل أن كل ما لدينا هو من عند الله، فهو لله وسيرثه سبحانه وتعالى. فإن أمعنا البحث سنجد أن الله خلقنا (عطاءاً كاملاً، كرماً ورحمةً ومحبةً منه عز وجل)، فلو أنه لم يحبنا عز وجل فلماذا يخلقنا؟ ولماذا يدبر امرنا؟ ولماذا يطعمنا؟ ولماذا يَسقينا؟ ولماذا يُدخلنا الجنة؟ إلا رحمةً منه سبحانه وتعالى، يقول عز وجل (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) (الفرقان:59)، لاحظ كلمة (الرحمن)، فخلق السماوات والأرض وما بينهما إنما كان من رحمة الرحمن ولم يكن لحاجة لله سبحانه وتعالى رب العالمين، ويقول عز وجل (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (يونس:3)، لاحظ أن إستواء الله على العرش إنما كان ليدبر الأمر، فالله هو المعطي والمخلوقات هي التي تأخذ، فلم يخلقنا عز وجل لنقدم له شيء، ولكنه بعدما خلقنا سبحانه وتعالى قدم لنا كل ما بين يدينا، يقول عز وجل (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (يونس:31)، ولقد سخر لنا سبحانه وتعالى السماوات والارض وكل ما فيها من كرمه ومحبته وعطاءه ورحمته، يقول عز وجل (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) (الرعد:2).

هل دخول الجنة بالعبادة، أم برحمة الله؟

طالما أن الله خلقنا من واسع رحمته وجزيل عطاءه وخالص محبته، فمن الطبيعي أن يخلق لنا الجنة لنسكنها، هذه الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر، هذه الجنة التي عرضها بعرض السماوات والأرض، وإرتفاعها مئة ضعف المسافة بين السماء والأرض، هذه الجنة التي فيها الخلود المقيم، ورضى الله، ولذةُ النظر لوجهه الكريم، فالجنة هي دار المقام، وسكن المؤمنين، قال عز وجل لأبونا آدم وأمنا حواء (وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) (البقرة:35)، ولو أننا سألنا أنفسنا عن الثمن الذي قدمه آدم ليسكن الجنة، فلن نجد له عمل ولا عبادة ولا هو قدم شيء ليدخل فيه الجنة، إنما دخل الجنة برحمة الله، وفي الحديث عن إبن خزيمة عن أبو هريرة عنه صلى الله الله عليه وسلم أنه قال (لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله، فحمد الله بإذن الله تبارك وتعالى، فقال له ربك: رحمك الله يا آدم)، كما أنه صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن دخول الجنة إنما يكون برحمة الله وليس بأعمالنا، فقد جاء في صحيح مسلم (ما من أحد يدخله عمله الجنة فقيل: ولا أنت؟ يا رسول الله! قال: ولا أنا. إلا أن يتغمدني ربي برحمة) وفي رواية أخرى (لا يدخل أحد منكم عمله الجنة. ولا يجيره من النار. ولا أنا. إلا برحمة من الله)، وفي أخرى (سددوا وقاربوا. وأبشروا. فإنه لن يدخل الجنة أحدا عمله. قالوا: ولا أنت؟ يا رسول الله! قال: ولا أنا. إلا أن يتغمدني الله منه برحمة. واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)، وجاء في سنن الترمذي عن أبي هريرة (إن رجلين ممن دخل النار ، اشتد صياحهما فقال الرب تبارك وتعالى أخرجوهما، فلما أخرجا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار فينطلقان. فيلقي أحدهما نفسه

فيجعلها عليه بردا وسلاما، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه، فيقول له الرب تبارك وتعالى ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك فيقول يا رب إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني فيقول له الرب تبارك وتعالى لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعا برحمة الله)، وعن عبد الله بن عباس عن إبن خزيمة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (للأنبياء منابر من ذهب، فيجلسون عليها – قال: ويبقى منبري، لا أجلس عليه ولا أقعد عليه، قائم بين يدي ربي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول الله عز وجل: يا محمد ما تريد أن نصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم فيدعا بهم، فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعث بهم إلى النار، وحتى أن مالكا – خازن النار – يقول: ما تركت للنار، لغضب ربك في أمتك من نقمة)، وجاء في الترغيب والترهيب عن جابر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: خرج من عندي جبريل آنفا فقال: يا محمد والذي بعثك بالحق، إن لله عبدا من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج له عينا عذبة بعرض الأصبع تفيض بماء عذب فيستنقع في أسفل الجبل، وشجرة رمان تخرج له في كل ليلة رمانة يتعبد يومه، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء، وأخذ الرمانة فأكلها؛ ثم قام لصلاته فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدا، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه الله وهو ساجد. قال: ففعل فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا، فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله، فيقول الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول: رب بل بعملي فيقول: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب بل بعملي فيقول:

قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله، فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه فيقول: أدخلوا عبدي النار، فيجر إلى النار فينادي: رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول: ردوه فيوقف بين يديه فيقول يا عبدي مَنْ خلقك ولم تك شيئا؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: من قواك لعبادة خمسمائة سنة فيقول: أنت يا رب فيقول من أنزلك في جبل وسط اللجة، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة، وإنما تخرج مرة في السنة، وسألته أن يقبضك ساجدا ففعل؟ فيقول: أنت يا رب، قال: فذلك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة أدخلوا عبدي الجنة فنعم العبد كنت يا عبدي فأدخله الله الجنة، قال جبريل: إنما الأشياء برحمة الله يا محمد).

لماذا خلق الله النار؟ ولماذا خلق الفجور؟

قلنا أن الله خلق الإنسان محبةً ورحمة وعطاءاً كاملاً، وخلق له الجنة، والسؤال الذي يتبادر على أذهاننا في هذه اللحظة هو، لماذا خلق الله النار؟ ولماذا خلق الله الفجور في نفس الإنسان؟ ولماذا أتاح الله المعصية للإنسان؟ ولماذا سيكون هناك أناس من أهل النار؟ ماذا سيتغير لو أن الله خلقنا مطيعين كما هو الحال عند الملائكة؟ وماذا سيحدث لو أننا دخلنا الجنة ولا علم لنا بوجود النار؟ وماذا سيحدث لو أننا دخلنا الجنة مع أبينا أدم ولم نخرج منها، وبقينا فيها؟ ماذا لو أن الله خلقنا بنجد واحد ولم يخلقنا بنجدين (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)؟ ماذا لو أن الله خلقَ نفوسَنا بتقوى ولم يخلقها بفجور (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)؟ بالتدبر والتفكر وإمعان النظر نجد أن الجواب على كل هذه الأسئلة هو نفسه نفسه، ألا وهو (رحمة الله فينا)، (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (الأعراف:156)، (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) (غافر:7)، فالنار مخلوقة رحمة بأهل الجنة، كي يفر المؤمن منها، وإلى أين يفر؟ يفر إلى الجنة، يقول عز وجل (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

لِلْكَافِرِينَ) (البقرة:24)، ويقول (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)، وكي يقدر عظمة نعمة الله عليه، فالشيء يعرف بضده.